التأثيرات الاجتماعية للمعز لدين اللّه الفاطمي في المجتمع الفاطمي

م.م. حسين سمير الكناني
مديرية تربية محافظة ذي قار

The Social Influences of Al-Mu‘izz li-Din Allah al-Fatimi on Fatimid Society

Asst. Lec. Hussein Samir Al-Kanani
Directorate of Education, Dhi Qar Governorate
h12h1316@gmail.com

Abstract

This research examines the social impacts of the Fatimid Caliph Al-Mu'izz li-Din Allah on the lives of the common people during his reign, focusing on the transformations that occurred in the social, cultural, and religious structure of Egypt after the center of the Caliphate and the Fatimid state moved from Morocco to Cairo. It examines the policies pursued by Al-Mu'izz, whether economic, political, social, or religious, as well as his interest in women's affairs. The research discusses the most important methods Al-Mu'izz used to strengthen his authority and gain the loyalty of the common people, including the poor and those with limited income. Al-Mu'izz exploited every opportunity that would bring joy and happiness to them, and even to the non-Muslims among his common people, who enjoyed a generous share of his policy of religious tolerance. They built new churches and monasteries and renovated old ones. Historians consider them to be the true beneficiaries of the advent of the Fatimid state, as the fate of the People of the Covenant (Ahl al-Dhimma) had previously depended on the moods of the Arab rulers and the Turkish princes who followed them. However, the situation was different with Al-Mu'izz al-Fatimi, who pursued a policy characterized by religious tolerance towards all sects of society. This research adopts a descriptive historical approach, drawing on historical and contemporary sources, with the aim of shedding light on a unique experience in Islamic history, where religious and political visions intersected with a changing social reality, producing a picture of an important aspect of Al-Mu'izz's rule: the social aspect.

Keywords: Al-Mu'izz li-Din Allah al-Fatimi, Social Policy, Fatimid Era.

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة التأثيرات الاجتماعية التي أحدثها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في حياة عامة الشعب خلال فترة حكمه مركزا على التحولات التي طرأت على البنيه الاجتماعية والثقافية والدينية في مصر بعد انتقال مركز الخلافة والدولة الفاطمية من المغرب الى القاهرة ويبحث في السياسات التي انتهجها المعز سواء كانت اقتصادية او سياسيه اجتماعيه او دينيه وأيضا اهتمامه بشؤون المرأة وناقش البحث اهم الوسائل التي استخدمها المعز لتقوية سلطته وكسب ولاء عامة الشعب من الفقراء ومحدودي الدخل وكان المعز يستغل كل

فرصة من شأنها ان تضفي الفرحة والسرور عليهم وحتى على غير المسلمين من عامة شعبه حيث تمتعوا بقسط وافر من سياسة التسامح الديني، فبنوا الكنائس والاديرة الجديدة وعمروا الكنائس القديمة وعدّهم المؤرخين هم المستفيدين الحقيقيين من مجيء الدولة الفاطمية، ذلك ان مصير اهل الذمة فيما سبق كان متوقفاً على مزاج الحكام العرب ومن اعقبهم من الامراء الاتراك لكن الحال اختلف مع المعز الفاطمي الذي اتبع سياسة تتسم بالتسامح الديني مع كافة طوائف المجتمع، ويعتمد هذا البحث على منهج تاريخي وصفي، مستندًا إلى مصادر تاريخية ومعاصرة، بهدف تسليط الضوء على تجربة فريدة في التاريخ الإسلامي، حيث التقت الرؤية الدينية والسياسية مع واقع اجتماعي متغير أنتج صورة لجانب مهم من حكم المعز الا وهو الجانب الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: المعز لدين الله الفاطمي، السياسة الاجتماعية، العصر الفاطمي.

المقدمة:

شهدت الدولة الفاطمية تحولات كبرى منذ تأسيسها في افريقيا واتخاذ المهدية عاصمة لها، إلا أن انتقالها إلى مصر في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي شكّل نقطة تحول فارقة ليس فقط في البنية السياسية للدولة، بل في حياة عامة الشعب على وجه الخصوص. فقد تميز عهد المعز بسمات إدارية واجتماعية جعلت من القاهرة (التي أسسها) مركزًا للسلطة والعلم والثقافة والتحولات الاجتماعية ولم يكن تأثير المعز مقتصرًا على النخبة الحاكمة أو المؤسسات الرسمية بل امتدّ ليشمل حياة العامة، من خلال السياسات التي انتهجها في مجالات العدالة الاجتماعية ان من ابرز من بلغ بالفاطميين الى ذروة قوتهم وبريق مجدهم هو الخليفة الفاطمي المعز وبفعل ما وجدناه من خلال دراستنا للمصادر التاريخية ما لهذه الشخصية من حضور واضح وملموس على معظم الاحداث التاريخية خلال وجوده في المغرب وبعد انتقاله الى مصر حيث شهدت الحياة في عهده انفتاحاً إدارياً وعلمياً واجتماعياً – موضوع البحث– بالنسبة للحياة الاجتماعية، فقد تطرقت لجهود المعز في التقرب من العامة بمختلف الاساليب كإقامة الختان الجماعي وانشاء دار الكسوة وتوزيع منتجاتها على الفقراء والاغنياء على السواء ومساواة العبيد ممن يدينون بمذهب الاسماعيلية بالأحرار من سائر الناس، كما اشرت الى اهم القبائل التي تكون المجتمع المغربي ابان عهد المعز وطبيعة علاقتها بالمجتمع المصري عقب انتقالها مع الخليفة المعز الى مصر، ثم تطرقت الى الحياة الدينية في كل من المغرب ومصر ايام المعز وموقفه منها ومن اهل الذمة بعدها اشرت الى اهم الاعياد التي وجدت في مصر في عهد الخليفة المذكور وعرضت نموذجاً لاهم الاعياد الشيعية والقومية والنصرانية واختتمت البحث بمواقف المعز من المرأة واجراءاته اتجاهها.وتوزيع الثروات، والتعليم، والتسامح المذهبي، وحماية الأقليات، وعدم تهميش المرأة والاهتمام بها ما أسهم في إعادة تشكيل البنية الاجتماعية المصرية ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، إذ يسعى إلى دراسة أثر المعز لدين الله الفاطمي في الحياة الاجتماعية لعامة الشعب، من خلال تحليل السياسات التي انتهجها، وانعكاسها على واقع الناس اليومي، ومستوى المعيشة، والعلاقات الاجتماعية

في تلك الحقبة، وقد اشتمل البحث على مبحثين وعدة نقاط جاء في المبحث الأول المعز نسبه ومولده ونشاته وصفاته وتهيأته للحكم ثم اعتلائه للخلافة وجاء في المبحث الثاني دوره في الحياة الاجتماعية لعامة الشعب أولا في المغرب ومن ثم في مصر ورعايته للحياة الدينية وحماية الاقليات الموجودة آنذاك ومرورا بالأعياد والمناسبات ومن ثم الاهتمام بالمرآه وفي نهاية البحث أتت الخاتمة ونتائج البحث ومن ثم المصادر التي استخدمت في بحثي.

المبحث الأول:

المعز اسمه نسبه مولده نشأته صفاته تهيئته للحكم خلافته

اولا- اسمه ونسبه:

هو أبو تميم[١] معد بن اسما عيل المنصور بالله بن محمد القائم بأمر الله بن عبدالله المهدي[٢] بن الحسين الحبيب بن احمد الوفي بن عبدالله الرضي بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) وقد عرف هو واسلافه ومن جاء بعده بـ (الفاطميين) نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام). اما من أنكر نسبهُ ونسب ابائه فقد ذهب هؤلاء مذاهب شتى، فمنهم من نفى نسبهُ الى البيت العلوي دون تحقق[٣] ومنهم من قال انه ذو أصل يهودي[٤]، وهناك من الباحثين من يرى انه من ولد الائمة المستورين ولا يتصل نسبه بالأئمة المستودعين[١]والذي يعد عبدالله المهدي – بحسب رأيهم- احدهم[٢].

---

(١) هي كنيتهُ وكان معروفاً بها منذ طفولته، فقد جاء على لسان جده القائم قوله له ((لولا صغر سنك لجعلت هذا الامر اليك انت ابو تميم حقاً كما كُنيت)) ينظر: القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، (بيروت-١٩٩٦م)، ص٤٠٩.

(٢) اشتهر باسم (عبيد الله) لكن اسمه الحقيقي (عبد الله) كما تشير الى ذلك المصادر الشيعية المعاصرة للمزيد من التفاصيل ينظر: القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي، رسالة افتتاح الدعوة (رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية)، تحقيق: وداد القاضي، دار الثقافة، (بيروت)، ص٤١٣.

(٣) ابن حزم، ابي محمد علي بن احمد الاندلسي، جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، (القاهرة-١٩٦٢م)، ص٦٠-٦١.

(٤) ابي الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي، المختصر في اخبار البشر، مطبعة معتوق اخوان، (بيروت-١٩٥٩م) ج٣، ص٨١؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة-د.ت)، ج٤، ص٧٥.

(١) الامام المستقر او المستور هو الذي له الحق بتوريث الامامة لولده، وصاحب النص على الامام الذي يأتي بعده، اما الامام المستودع فهو الذي يتسلم الامامة في ظروف استثنائية ولا يحق له باي حال من الاحوال توريثها لاحد من ولده والاساس الشرعي لهذه العملية يستند الى القرآن الكريم حسبما جاء في قوله تعالى ((هو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقرٌ ومستودع)). للمزيد من التفاصيل ينظر: سورة الانعام؛ العوا، عادل، معنى التاريخ في الفكر الاسماعيلي، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الاردنية، (عمان-١٩٧٤م)، ص١٨٧-١٨٨.

(٢) يذهب اصحاب هذا الرأي ان الائمة المستورين -أطلق عليهم ذلك لشدة تخفيهم خوفاً من بطش العباسيين: الخطيب، محب الدين، من هم العبيد ولماذا احرقوا الفسطاط، مجلة الازهر، (القاهرة-١٩٥٤م)، مج٢٥، ج٥، ص٦١٢-٦١٨.

ثانيا – مولده ونشاته

ولد المعز لدين الله في مدينة المهدية في يوم الاثنين الموافق الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٣١٩هـ/٩١٢م ونشأ وسط عائلة مكونة من ابيه ابو الطاهر اسماعيل المنصور واخوته حيدرة وهاشم وطاهر وابو عبدالله الحسين وهبة واروى وأسماء وام سلمه ومنصورة حيث كانت امه ام ولد(٤).

كان المعز منذ صغره يلقى الرعاية والاهتمام من لدن اجداده، وقد اشار الى ذلك في معرض كلامه عن جد ابيه عبدالله المهدي بقوله ((اني لأذكر يوماً كنت حملت فيه اليه، وانا يومئذ فطيم اعقل الكلام واحفظ ما يكون، فتناولني وقبّلني، وادخلني تحت ثوبه وكشف عن بطني والصقها ببطنه))(٥)، وكان يتخذه رسولاً بينه وبين الرعية ليزوده بالخبرة والتجربة اللتين تجعلان منه حاكماً سياسياً قديراً وليكفل له بذلك ولاء اشياع مذهبه ورجال بلاطه وولاته وغيرهم من ذوي المناصب العالية في الدولة اما في شبابه فكان جده القائم بأمر الله يأنس بوجوده بقربه ويستعين به للقيام ببعض الاعمال(٢).

ثالثا– صفاته

وعن صفاته ذكر ابن الاثير انه كان ((عالماً، فاضلاً، جواداً، شجاعاً، جارياً على منهاج ابيه من حسن السيرة وانصاف الرعية))(1)، وايد ذلك جمع من المؤرخين(2)) غير ان ابن كثير كان يرى غير ذلك فهو وان مدحه في بعض صفاته لكنه عمد الى ذمه في بعضها الاخر بقوله ((وكان المعز فيه شهامة وقوة وشدة حزم وله سياسة وكان يظهر انه يعدل وينصر الحق))(3).

كان المعز ورعاً تقياً يحرص على اداء فرائضه بانتظام فقد روي انه قام بأداء صلاة العيد في البراح(4) خارج المسجد على الرغم من رداءة الطقس وهطول الامطار، وقد فضل تأديتها في المكان المخصص لها تأسّياً برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وهو يقول ((وهذا اقل ما ينبغي ان يفعل في ذات الله ... والله لو حبونا في

---

(٤) ابن الأثير، أبو الحسن عزالدين علي بن أبي كريم، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، بيروت– دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ج٧، ص٦٥.

(٢) غالب، مصطفى، اعلام الاسماعيلية، دار النهضة العربية للتأليف والترجمة والنشر، (بيروت–١٩٦٤م)، ص٢٥٧.

(1) ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص٧٤.

(2) للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م). وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة (القاهرة–١٩٤٨م)، ج٤، ص٣١٦؛ الديار بكري، حسين ابن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، المطبعة الوهبية، (القاهرة–١٩١٢م)، ج٢، ص٣٨٦.

(3) عماد الدين، المختصر، مكتبة المعارف، ط٢، (بيروت–١٩٧٧م) ج١١، ص٢٨٤.

(4) هو متسع من الارض لا نبات ولا عمران ولا شجر فيه. ينظر: ابن منظور، ابو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري الانصاري، لسان العرب، دار صادر، (بيروت–د.ت)، مادة برح.

هذا الطين على الركب وكان ذلك مما يرضي الله عنا ويقبله منا لفعلناه))، ومن صفاته ايضاً انه كان حليماً مع خدمه وعبيده ورعيته، لدرجة ان بعضهم كان يعترض عليه ويقاطع رأيه ويحتج عليه، لكنه كان يجادلهم بالحسنى، ويناقشهم باللين ولا يأخذهم بالشدة، ولم يكن ذلك ضعفاً منه ولكنه الحلم الذي يحبب صاحبه ويقربه الى الناس[1] وعن ذلك يقول القاضي النعمان ((حضرت يوماً مجلسه وقد حدّق ملياً ثم قال لبعض الخدم بين يديه، اصلح الحمام، قال نعم، فجلس بعد ذلك طويلاً، ولاشك، انه كان امر قبل ذلك بإصلاحه، ثم دعا الفرس فركبه، ومشينا بين يديه الى الحجرة التي بها الحمام من قصره فدخل ونزل، ليدخل الحمام، فوجده مقفلاً ولم يصلح بعد، وسأل عن المفتاح فلم يجده، فوقف طويلاً وما تنكر حاله ولا بدا منه غضب، ثم دعا بالكرسي فجلس واخذ يتحدث حتى اوتي بالمفتاح، واصلح الحمام، وقام فدخل وما حرك ذلك منه ساكناً ولاهاج كائناً)).

رابعا–علمه وثقافته

نهل المعز كثيراً من علوم جده القائم بأمر الله لاسيما علم الباطن[2] فضلاً عن معارف ابيه ويظهر ذلك بقوله ((كان المنصور... اذا افادني شيئاً من العلم والحكمة قال لي: عاودني فيه واسألني عنه وعن معانيه، وناظرني، واحتج علي، وارني انك قصرت عن فهمه وان كنت قد فهمته وما جللتني فيه وعظمتني، فلا يكون في مثل هذا من تهيبك مراجعتي فيه، فبذلك تعظم الفوائد وتزيد، فكنت افعل ذلك فيتدفق عليَّ من بحور العلم والحكمة منه مالم اكن أظنه))[3]، وكان المعز يتقن اللغة العربية وآدابها فضلاً عن المامه بالعديد من اللغات كاللغة الرومية (الايطالية القديمة) التي تعلمها في صباه بجزيرة صقلية، والصقلية التي كانت منتشرة في هذه الجزيرة، والسودانية بفعل وجود فرقة من السودان في جيشه، كما عرف لغة البربر[4] لأنه كان يقيم بينهم فكان من الطبيعي ان يعرف لغتهم وكان المعز لدين لله ذا ثقافة عميقة في الأمور الأدبية والدارس وصنف هو نفسه عددا من الرسائل إضافة إلى تدقيقه لكتابات القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ /٩٧٤ م) من فقهاء الإسماعيلية في العصر الفاطمي، وجرى

(1) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص٣١٠–٣١١.

(2) هو العلم الذي يتمكن من خلاله الائمة الفاطميون استنباط المعاني من آيات القرآن الكريم عبر تطبيق نظرية المثل والممثول، لذلك لقبوا بالباطنية. ينظر: حسين، محمد كامل، في ادب مصر الفاطمية، دار الحمامي، (القاهرة–د.ت)، ص٢١–٣٠.

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص١١٧، ٥٠٢.

(4) لفظ يطلق على قبائل كبيرة استوطنت مناطق شاسعة من بلاد المغرب تمتد من برقه الى المحيط الاطلسي ينظر: ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة المقدسي (القاهرة–١٩٣٨م)، ج٢، ص١٤٥–١٤٦؛ محمد، سوادي عبد، دراسات في تاريخ المغرب العربي، مطبعة جامعة البصرة، (البصرة–١٩٨٩م)، ص٤٠–٤١.

توثيق سياسات المعز لدين لله بما فيها تلك التي تتعلق بمسائل فقهية دينية بغزارة في أعمال الفاطمي النعمان[1]، وسيرة جوذر خادم أول أربعة خلفاء فاطميين لقد ضرب المعز بسهم وافر في التعمق بفقه الدين واسرار القرآن الكريم والسير التاريخ، لدرجة انه كان يملي على القاضي النعمان اكثر فصول كتبه ومؤلفاته[2]، اما اشهر مؤلفات المعز فهي[3] رسالة الروضة (وهي رسالة تبحث في العقائد والمذاهب) رسالة في المناجاة الرسالة المسيحية رسالة الى الحسن القرمطي (الاعصم) وجدير بالذكر ان المعز لدين الله اول من نبّه الى فكرة استخدام قلم يخزن فيه الحبر دون الحاجة الى دواة كان للمعز دراية بعلم النجوم ورؤية واضحة لعمل المنجمين، اشار اليها بقوله ((من نظر في النجامة ليعلم عدة السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جلَّ ذكره، وما في ذلك من الدلائل على توحيده لا شريك له فقد احسن وأصاب, ومن تعاطى بذلك علم غيب الله والقضاء بما يكون فقد اساء واخطأ))[4] وعن اهتمامه بهذا العلم يقول سبط بن الجوزي ((وكان المعز لدين الله مغرى بالنجوم والنظر فيما يقتضيه الطالع))[5] وايده ابن كثير بقوله ((كان منجماً يعتمد على حركات النجوم)) ويذكر ان للمعز في هذا المجال (ذات الدرر) وهي ارجوزة في ضرب الرمل[6].

خامسا تهيئته للحكم

لقد اكد الفقهاء الفاطميون ان ميراث الامامة حقٌ مقدس يتم ب(النص)، أي بالدلالة الصريحة للأمام على من سيخلفه، وبحسب ما قاله الفقهاء يكون كل امام من غير الائمة الفاطميين مغتصباً للإمامة، لان النص مظهر لإرادة الله، التي يجب ان تخضع لها مختلف الآراء في تعيين الامام الجديد، كذلك يجب ان يكون الشخص المنصوص عليه من سلالة علي وفاطمة (عليهما السلام)[7].

---

(1) المجالس والمسايرات، ص ٤٧٥ –٤٧٧؛ الجو ذري: أبو علي منصور الكاتب العزيز (ت بعد ٣٨٦ هـ /٩٩٦م) سيرة الأستاذ جوذر. به توقيعات الأئمة، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيره، مطبعة الاعتماد، (القاهرة – ١٩٥٤)، ص ٨٦ –١١٢.

(2) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص٥٤٥.

(3) غالب، اعلام الاسماعيليه، ص٢١٦.

(4) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص٤٤٠.

(5) شمس الدين ابو المظفر يوسف قزاوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، دراسة وتحقيق: جنان الهموندي، (بغداد–١٩٩٠م)، ص١٩٣.

(6) البغدادي، اسماعيل بن محمد امين بن سليم، هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المطبعة البهية، (اسطنبول–١٩٥٥م)، ج٢، ص٤٦٥.

(7) ابن الوليد، علي بن الوليد اليماني، الذخيرة في الحقيقة، تحقيق: محمد حسن الاعظمي، دار الثقافة (بيروت–١٩٧١م)، ص٩٤–٩٥.

وقد ركز القائم بأمر الله جد المعز على ضرورة ان يعين الخليفة من سيخلفه قبل ان يدفن الاخير سلفه بيده، وان يشهد على هذا التعيين اخلص الناس واقربهم اليه[1] وتأسيساً على ما تقدم فقد عهد اسماعيل المنصور بولاية العهد لولده المعز في سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م[2] ونصُّ عليه بقوله: ((والله ما آثرتك به بل الله آثرك واختصك واعطاك واجتباك، والله لو ملكت من هذه الدنيا درهماً فما فوقه لما استجزت ان اخصَّ به احداً من ولدي دون أحد وأما ما خولني الله من الكرامة واصطفاني به من الامامة فإنما هو متاع عندي الى انقضاء المدة وتمام العدة، ثم هو لك بحكم الله وأمره واعطائه لاعن امري وحكمي واختياري واختصاصي اياك به))[3].

شرع المنصور بتهيئة ولده لممارسة مهام الحكم في حياته، فكان يشركه في الحروب لاسيما الحرب مع ابي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي (صاحب الحمار)[4] ويأخذ رأيه في القضاء في بعض الاحيان، والنظر في المظالم، فضلاً عن شؤون الحكم والادارة وكان يوصيه بعدة وصايا منها ((اني اجمع لك الوصايا كلها في وصية واحدة: فانظر فيما كنت رأيتني افعله فافعله، وما كنت رأيتني تركته فاتركه، واصنع بعد وفاتي ما كنت رأيتني اصنع في حياتي فنعم السلف انا لك)) وعلى الرغم من ان المنصور الزم المعز بالتصرف وفق سيرته والسير على نهجه، الا انه مع التزامه التام بوصايا والده فقد خالفه في مسألة ولاية العهد والده, بقي المنصور يعد ولده ليتولى مقاليد الامور من بعده، حتى لازمه المرض ولما شارف على الوفاة، اوصاه بحسن السيرة والعدل في الرعية واخراج الصدقات[5]، كما أوصاه بالتحلي بالصبر والتاني قائلا له ((دع عنك ملازمة قبري والاختلاف أليه فأن ذلك يبعث الحزن ولا يؤدي الى غاية من الحزم، وإنما يفعله الجهال من الرجال فان لم يكن لك بدٌ في ذلك فالوقفة بعد المدة للترحم، ثم تنصرف بسرعة، ومن عرف مصير الارواح لم يلتفت الى محل الابدان ويبدو ان المعز قد التزم بوصية ابيه، الامر الذي جعل بعض المؤرخين يقولون بانه لم يظهر الحزن عليه بعد وفاته[6] توفي المنصور الفاطمي في شوال سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م فتولى المعز دفنه والصلاة عليه ثم انصرف بعدها يدير شؤون البلاد ويرتب امورها،

(1) الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر، ص٤٣-٤٤.
(2) ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص٢١.
(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص١٢٤
(4) لأنه كان يطوف البلاد راكباً على حمار يدعو للثورة ضد الفاطميين وقتالهم. ينظر: اسماعيل، محمود، الخوارج في المغرب الاسلامي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار العودة (بيروت-١٩٧٦م)، ص١٧٧-١٨٩.
(5) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود، مطبعة الارشاد، (بغداد .١٩٧٣م)، ج٤، ق٢، ص١٩٦.
(6) ابن الأبار، ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة١٩٦٣)، ص٣٩١.

وكان قد ابقى نبأ وفاة والده مكتوماً حتى السابع من ذي الحجة من العام ذاته[1] ولم يعلم بالأمر سوى المقربين منه لاسيما جوهر الصقلبي ويبدو ان السبب الذي دعي المعز لكتمان الخبر، خوفه من تدخلات عمومته واثارتهم المشاكل ضده فضلا عن ذلك انه أراد الحفاظ على الاستقرار وعدم الاخلال بالأمن والنظام في البلاد خلال هذه المدة ريثما يتولى مقاليد الحكم[2].

سادسا-اعتلائه الحكم

اعتلى المعز سدة الحكم في السابع من ذي الحجة من سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م اعلن نفسه اميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين بعد ابيه ودخلوا عليه العامة والخاصة وجددوا له البيعة بالخلافة بعد ان سبق لهم مبايعته بولاية العهد في السنة ذاتها وهنئوه بذلك واتخذ المعز في هذا العام من اسم (المعز لدين الله)[3] لقباً له، فاصبح مشهوراً به اكثر من اسمه عند معظم من ارخ لسيرته, استهل المعز حكمه بنعي والده المنصور وكان ذلك خلال خطبة عيد الاضحى في ذي الحجة من العام المذكور، ومما جاء فيها ((وان القلق وشدة الحرق عليك يا ابتاه، يا سيداه، يا اسماعيلاه، يا ابا الطهراء عظم والله علينا المصاب بك، وعدم العزاء لفقدك، فوحق الذي اختصك بكرامته وحباك بجزيل عطائه لولا ما اوعزت اليّ به واكدته عليّ لضربت على وجهي سائحاً في البلاد قالياً للمهاد الى ان يلحقني الموت سريعاً بك فأفوز بقربك ورحمة ربك، لكني فكرت فلم ار لي وجهاً استوجب به درجتك سوى الصبر والاحتساب))[4].

ومما هو جدير بالملاحظة ان الإسماعيلية قد قدسوا أئمتهم لكن لم تصل الى مرحلة تأليه الأئمة كما يعتقد البعض وكان المعز نفسه يستنكر تأليه الأئمة وأبدى عدم رضاه عن الغلاة في مناسبات عديدة ويحفل كتاب المجالس والمسايرات بأقواله ومواقفة في هذا الموضوع، ويمكن القول ان اتجاه الدولة الفاطمية يتسم بالاعتدال، فقد أوضحوا بما لا مجال للشك فيه بأن النبوة أعلى مرتبة من الإمامة، فمن أين إذن للأئمة ان يوصفوا بصفات الهية وبينوا ان ظاهرة السجود بين يدي الإمام هي من باب الاحترام والتعظيم، وليست سجود لغير الله[5].

توجه المعز لدين الله بعد ذلك لوضع اسس سياسته الجديدة تجاه الرعية، وقد حدد واجباته بحيث تدور كلها في محور واحد، هو اصلاح حالهم وحمايتهم من اعدائهم بقوله ((للناس شغلٌ بدنياهم وما يتلذذون به منها، وشغلنا

(1) الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر، ص٧٥-٧٦، حسن، المعز لدين الله، ص٢١.
(2) ينظر: حسن، المعز لدين الله، ص٢١.
(3) الهمداني، محمد بن عبدالملك، تكملة تاريخ الطبري -منشور ضمن ذيول تاريخ الطبري- تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف (القاهرة-١٩٧٧م) ج١١، ص٣١٥.
(4) ينظر نص الخطبة في: الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر، ص٧٦-٨٤.
(5) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص١٤٣.

نحن اقامة اودهم وصلاح احوالهم، والنظر فيما يعود عليهم ويحمي حماهم، ويدفع عن بيضتهم، ويحقن دمائهم، ويحصن حريمهم واموالهم، ويكف ايدي المتطاولين اليهم، بذلك نقطع ليلنا ونهارنا، والله المستعان على ما قلدناه من امورهم وافترضه علينا من القيام بأسبابهم ونرغب اليه في صلاحهم وهدايتهم الى ما فيه حظهم ونجاحهم في دنياهم وآخرتهم))[1].

توفي المعز لدين الله في السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ/٩٦٣م وكان له من العمر خمسٌ واربعون سنة وستة أشهر على وجه التقريب قضى منه في سدة الحكم ثلاثة وعشرين سنة وعشرة ايام[2].

المبحث الثاني:

أثر المعز لدين الله في الحياة الاجتماعية لعامة الشعب

اهتم المعز لدين الله منذ بداية حكمه بالتقرب الى الرعية والسهر على راحتهم وامدادهم بكل أمور العيش التي تضمن لهم حياة كريمة معتبراً هذا الامر من الاولويات الواجبة على اي خليفة لذا نراه يقول ((والله لقد كفينا كثيراً ممن اختصصناه منهم من اوليائنا وعبيدنا امر دنياهم واطعمناهم مما نأكل وكسوناهم فيما نملك وانهم ليأكلون من ذلك ويلبسون ويملكون مالا تعب ولا نصب ولا كلفة عليهم فيه واننا لنتعب ونتكلف لهم ذلك))[3] واجهت الدولة الفاطمية منذ قيامها بأفريقية وطوال دورها المغربي حركات مقاومة عنيفة ومتصلة، شغلت عهود خلفائها الأربعة الأوائل وهم عبد الله المهدي والقائم والمنصور والمعز لدين الله قبيل انتقاله إلى مصر وهي (٢٧٩ هـ – ٣٦٢هـ/ ٩٠٩م –٩٧٢م) ويرجع السبب في ذلك إلى إن الدولة الفاطمية شيعية المذهب في وسط يتعصب أكثر أهاليه من قبائل البربر لمذهب مالك بن انس السني، كما كان بعضهم يدين بمذهب الخوارج والمالكية، وهما مذهبان يختلفان كل الاختلاف عن التنظيم المذهبي الذي عمدت الدعوة الإسماعيلية إلى فرضه بالقوة، ولم يكن من السهل على قبائل البربر أن تستسلم في سهولة ويسر إلى المذهب الشيعي الجديد، وهذا لا يمنع من القول أنها ككل القبائل البدوية وفي كل مكان لها عقليتها وتقاليدها الخاصة التي تجعلها في يوم من الأيام تتقبل رأيا من الآراء وتؤيده بكل قوة وحماسه وإذا جاء الغد تركت هذا الرأي لأتفه الأسباب وانقلبت إلى الد الأعداء له ولأتباعه. أضف إلى ذلك وجود قبيلتين بربرية: زناته في المغرب وصنهاجه التي تنتمي إليها كتامة في المشرق كان عنصرا مساعدا للاضطراب والقلاقل في المنطقة[4].

---

(1) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص١٢٠.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص٦٦.

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص١٥٣.

(4) تليسي:بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي، دار المدى الاسلامي، (بيروت – ٢٠٠٣م)، ص ١٢٠.

لم يتم تثبيت حكم الفاطميين في شمال افريقية بإحكام إلا إبان فترة حكم الخليفة الرابع المعز لدين الله (٣٤١هـ-٣٦٥ هـ/٩٥٢م-٩٧٥م) وكان قادرا على إتباع سياسات ناجحة في الحرب والدبلوماسية متخذا من إشاعة السلام والاستقرار في الدولة الناجم إلى حد كبير من ولاء بربر كل من كتامة وصنهاجة وتمخضت هذه السياسات عن توسع إقليمي وعلاقات سلمية مع السلالات المحلية في شمال أفريقية غير أن هدفه العام كان توسع عالمي للسلطة الفاطمية إزاء منافسيهم الرئيسين من الأمويين في الأندلس والعباسيون في المشرق فضلا الإمبراطورية البيزنطية[1].

وبصورة عامه لعب المعز دورا خطيرا في تحويل الخلافة الفاطمية من قوة إقليمية إلى إمبراطورية عظيمة إضافة إلى تشجيعه ودعم الحياة العلمية والثقافية متخذا على عاتقه تطوير حضارة بلغت ذروة ازدهارها في أراضي النيل.

اولا: في المغرب

اما التنظيمات الاجتماعية في الدولة الفاطمية في بلاد المغرب فهي تختلف عما هو موجود في مصر، ففي المغرب كانت استمراراً لتنظيمات الاغالبة مع استحداث بعض التطورات لاسيما بعد اتخاذ المهدية ثم المنصورية (صبره) عاصمة للفاطميين في عهد المنصور بالله وولده المعز لدين الله، فقد ظهرت بها فئة القت بظلالها على مسرح الاحداث هناك، وكان لها تأثير مباشر على نظام الحكم الفاطمي، الا وهي قبيلة كتامه البربرية التي غذت عصب الدولة وقوته، وهي تتألف من عدة بطون من جملتها صنهاجه وزواوه ومصاله وغيرها) وقد استوطن هؤلاء المدن والمستوطنات التي ورثها الفاطميون عن الاغالبة لاسيما مدن رقاده وتونس[2] وطرابلس وبرقه وغيرها، فبنوا فيها القصور والبيوت والمنشآت وعمروها فكان لهم فيها اهل وذرية وجماعة[3] علاوة على وجودهم في المنصورية العاصمة التي غدت موئلاً للعديد من الرعايا الفاطميين بعد التطورات العمرانية والحضارية التي اضفاها المعز عليها من بناء قصورها الفخمة العالية، وزيادة حماماتها التي بلغت اكثر من ثلاثمئة حمام وبناء المصانع واحتفار الآبار لتوفير المياه فيها فضلا عن نقل التجار واصحاب المهن والصناعات اليها الامر الذي شكل نمواً اجتماعياً واضحاً لهذه المدينة، وتأتي قبيلة صنهاجة بالمرتبة الثانية من حيث القبائل المغربية التي كان لها دوراً هاماً في بناء النظام الاجتماعي في بلاد المغرب ابان عهد الفاطميين، وقد سكن هؤلاء مدينة اشير(تقع في المغرب الادني) ومليانه (في المغرب الأقصى) ومدينة الجزائر على ساحل البحر الابيض المتوسط وكان لهذه القبيلة مساهمات

(1) بيضون: إبراهيم وسهيل زكار، تاريخ العرب السياسي من فجر الإسلام حتى سقوط بغداد، دار الفكر، (بيروت-١٩٧٤)، ص٣٥٦.

(2) (٥) وهي مدينة عظيمة محدثة تقع على ساحل البحر المتوسط مرساها رادس وبها دار لصناعة السفن، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٠١؛ ياقوت، معجم البلدان، مج٢، ص٦٠-٦٢.

(3) محمد، دراسات في تاريخ، ص٢٢٧.

فعالة في ارساء دعائم الدولة الفاطمية في هذه البلاد لاسيما دورهم في اخماد الحركات المناهضة للحكم الفاطمي هناك، ابتداء من ثورة مخلد بن كيداد الخارجي، وجهود زيري بن مناد (زعيم صنهاجة) في قتال المتمردين في بلاد المغرب الى جانب جوهر وانتهاء بما قام به ولده بلكين من جهود في هذا المجال[1].

ثانيا: في مصر

ان الفاطميين بانتقالهم الى مصر تركوا آثاراً بعيدة المدى ولها تأثير واضح على المجتمع المصري، بعد ان اسسوا واتخذوا القاهرة حاضرة لهم، اذ احدثوا تطورات كثيرة وملموسة في البنية الاجتماعية هناك، ذلك ان قيام الدولة الفاطمية في مصر يمثل في جانبه الاجتماعي صراعاً بين بربر كتامه الذين هم مادة الدولة وعنصرها الاساسي والمغاربة عموماً الذين نزحوا معهم من جهة، وبين المصريين وهم السواد الاعظم من السكان من جهة اخرى، فكان لظهور المغاربة بما فيهم الكتاميون كطبقة اجتماعية واستئثارها بالامتيازات والحقوق المدنية والسياسية، ان احدث انقلاباً في موازين القوى الاجتماعية، فلطالما اثار المغاربة الفتن والقلاقل بما اوتوا من اعمال العنف والشدة ضد الاهالي الاصليين، حتى عدّوهم من الد اعدائهم لاغتصابهم ما كان لهم من حقوق سياسية، واختلافهم معهم في النواحي المذهبية[2]، وبعد وصول المعز الفاطمي الى القاهرة لم تنتهي الخلافات بين المغاربة والمصريين، وقد تفاقم هذا الامر سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م عندما عاد المغاربة الى القرافة فاحتلوا الدور واجلوا سكانها عنها، فشكا الناس الامر الى المعز واستغاثوا به، وكان قد امر المغاربة بالسكن اطراف المدينة، فاصدر الاوامر الى المغاربة بهجرة هذه الدور والتحول الى الخندق –على مقربة من عين شمس– واوكل الى جبر بن القاسم قائد شرطته بتنفيذ هذا الامر، ثم ركب الخليفة بنفسه فعين مواضع نزولهم، واقر المال المطلوب للبناء، واتم هذه العمل بأن جعل لهم والياً وقاضياً، عهد اليهما النظر في احوالهم على ان هذه الاجراءات لم تكفل للمصريين الاطمئنان على انفسهم واموالهم من المغاربة فقد ظل هؤلاء يخالطون اهل مصر، ريثما يتم اعداد مساكنهم الجديدة، وعلى الرغم من قلتهم الا انهم كانوا يستندون الى حكومة تعضدهم، خاصة بعد وصول المعز، وبقي العداء مستحكماً بين الطرفين، وكان يبلغ ذروته عند الاحتفال ببعض الاعياد والمناسبات الشيعية[3].

وكان المعز يحاول ان يستغل اي فرصة من شأنها تعطي الفرحة والسرور على شعبه ففي سنة ٣٥١هـ ((اراد المعز لدين الله للامراء من بنيه: عبدالله ونزار وعقيل، فحين عزم على طهورهم، كاتب عماله وولاته من لدن برقه الى اقصى سجلماسة وما بين ذلك، وما حوته مملكته الى جزيرة صقليه وما والاها، في حضر وبدو وبحر وبر، وسهل وجبل، بطهور من وجد من اولاد سائر الخلق، حرهم وعبدهم، ابيضهم واسودهم، ودنيئهم وشريفهم،

(1) ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص٤٧–٤٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٤٩.
(2) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٦٢١؛ محمد، دراسات في تاريخ، ص٢٢٧.
(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٤٥–١٤٦.

ومليهم وذميمهم، الذي حوت مملكته لمدة شهر، وامرهم بالقيام بجميع نفقاتهم وكسوتهم))[1] وقد اشار النعمان الى هذا العمل الجليل الذي اقدم عليه مولاه المعز بقوله ((وكانت ايام هذا الشهر ايام اعياد ومسرات وافراح وهبات بكل وجه من مملكة امير المؤمنين... وعمهم فضله وبين اثره، وارتفق به اغنيائهم، وانعش له فقرائهم، ودخلت المسرة على كل بيت منهم، وكان اثراً جميلاً لم يسبقه اليه... احد قبله، ولا اظن ان احداً يتسع له مثله))[2].

وان دل هذا العمل على شيء فانه يدل على ان المعز اراد بفرحه ان يكون قريباً من ابناء شعبه، وهو كذلك حين فكر فيهم واراد لهم ان يفرحوا ويشاركوه لفرحه.

ثالثاً: الحياة الدينية

اما الحياة الدينية فكانت مميزة في عهد المعز لدين الله الذي سعى لمنح الحرية الدينية لكافة ابناء دولته سواء اكان ذلك في المغرب ام مصر، الا انه كان حريصاً على بث مبادئ المذهب الاسماعيلي بكل السبل مع الاخذ بنظر الاعتبار عدم اللجوء الى القوة والقهر لنشرها بين الناس الا عند الضرورة، يدل على ذلك ما اورده النعمان بقوله ((ولما قلدني [المعز] قضاء المنصورية رأيت قوماً لم يصلوا الى الدعوة ورأيت فيهم مقاربة ورجوت ان يهديهم الله ان فتح في ذلك لعباده، فلما جاء من ذلك بما هيأه الله عز وجل لخلقه من فتح باب رحمته لعباده، تخلفوا ورجوت ان يحاسبوا انفسهم، ورمزت لهم وطارحتهم، فلم ارهم يقبلون على شيء فواجهتهم وكلمتهم واحتججت عليهم وناظرتهم حتى قطعتهم فلم يزدهم ذلك الا تمادياً في الغي واصراراً على الجهل فثقل علي امرهم وابغضت رؤيتهم فاردت الاستبدال بهم، فوقعت ذلك الى المعز، فرفع الي فيهم: ابقهم على خدمتك حتى يفيء الله بهم فسعادة ساقها الله اليهم وثواب يصير اليك بم نلته من النصيحة لهم، والا فما يمنعك من جهل الحمل المستنفرة من الانتفاع بها في بعض مصالحك))[3].

رابعاً: رعايته للأقليات

وفيما يتعلق بالديانات الغير مسلمه المتمثلة باهل الذمة من اليهود والنصارى الذين كانوا يؤلفون الطبقة الثالثة في هرم المجتمع المصري، فقد تلقوا معاملة من الفاطميين كانت تنطوي في اغلب الاحيان على العطف والرعاية، فتقلد بعضهم المناصب الرفيعة وخاصة المالية منها لاسيما الوزير يعقوب بن كلس اليهودي، وتمتعوا بقسط وافر من سياسة التسامح الديني، فبنوا الكنائس والاديرة الجديدة وعمروا الكنائس القديمة[4] وقد اشار لينبول الى مدى الرعاية التي حظي بها اهل الذمة من لدن الفاطميين وعدّهم المستفيدين الحقيقيين من مجيء الدولة

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٩٤.
(2) المجالس والمسايرات، ص٥٥٨.
(3) المجالس والمسايرات، ص٣٩٤-٣٩٥.
(4) ومنها الكنيسة الموجودة بقصر الشمع في الفسطاط. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٢٥.

الفاطمية، ذلك ان مصير اهل الذمة فيما سبق كان متوقفاً على مزاج الحكام العرب ومن اعقبهم من الامراء الاتراك لكن الحال اختلف مع الفاطميين الذين اتبعوا سياسة تتسم بالتسامح الديني مع كافة طوائف المجتمع المصري لم يعهدوها من قبل فضلاً عن الرعاية التي ابداها الخلفاء مع رعاياهم لاسيما النصارى من خلال اصلاح كنائسهم والاهتمام بشؤونهم، ومن المظاهر العامة التي ابداها جوهر قبل مجيء مولاه المعز الى مصر، انه اشار بوجوب سلخ الأغنام الجاهزة للشواء قبل اكلها ووجه بان لا يظهر يهودي الا بالغيار[1].

خامساً- الأعياد والمناسبات

اما الاعياد والمناسبات التي استنها المعز فهي وان بدت غير واضحة في بلاد المغرب لعدم تركيز المؤرخين عليها، لكنها بدت اكثر وضوحاً في مصر بعد انتقال المعز لها، ومن اهمها: عيد رأس السنة الهجرية، المولد النبوي الشريف، اول رجب، نصف رجب، اول شعبان، النصف من شعبان، موسم ليلة رمضان، غرة رمضان، مولد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، مولد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، مولد الامام الحسن (عليه السلام)، مولد الامام الحسين (عليه السلام)، مولد الخليفة الحاضر (المعز)، عيد النحر، عيد الغدير، عيد فتح الخليج، يوم عاشوراء[١] فضلاً عن احتفاله بالركوب في عيدي الفطر والاضحى[2] واهتمامه بأعياد النصارى من الاقباط والتي كانوا يمارسونها قبل مجيئه' وتبلغ هذه الاعياد خمسة عشر عيداً هي عيد البشارة، عيد الزيتونة (عيد الشعانين)، عيد الفصح، عيد خميس الاربعين، عيد الخميس، عيد الميلاد، عيد الغطاس، عيد الختان، عيد الاربعين، خميس العهد (ويسمى ايضاً خميس العدس لانهم يطبخون به العدس)، سبت النور، واحد الحدود، التجلي، عيد الصليب، عيد النيروز[3].

ومما يلاحظ على المعز انه كما ذكرنا سابقاً كان يروم مشاركة شعبه في مناسباتهم واعيادهم فاعتاد المصريون والمغاربة ان يروه في مناسبات عديدة كأول العام واول رمضان والجمع الثلاث الاخيرة منه، وصلاة العيدين، وفتح الخليج، وعند جلوسه على السماط اول ايام عيد الفطر، كما اعتادوا رؤيته جالساً على منظرته (مقصورته) مع رجال دولته اما لتوديع حملاته العسكرية او ليخلع على احد قواده خلعه مزركشة من الذهب كما فعل ذلك مع قائده جوهر الصقلي[4].

---

(1) الغيار: لفظ يطلق على الملابس التي يرتديها اهل الذمة بلون مغاير للون ملابس المسلمين بقصد تمييزهم. ينظر: ابن قيم الجوزية، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر، احكام اهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، (دمشق-١٩٦١م)، ص٢٢.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٧٩، ٩٤-٩٧.

(3) المقريزي، الخطط المقريزية، مج٢، ص٣-١٣.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٣٩؛ محمد، دراسات في تاريخ، ص٢٣٠.

سادساً- اهتمامه بالمرأة:

اما المرأة فقد احتلت منزلة عظيمة في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، فقد اوصى رعاياه، في احدى خطبه بضرورة الاكتفاء بزوجة واحدة وعدم الافراط في ذلك وقد اكد على ضرورة توافر الصفات الحميدة في المرأة التي يراد الاقتران بها، كما سعى المعز الى صيانة حقوق المرأة والحفاظ عليها ضمن حدود الشريعة الاسلامية وبما يتماشى مع مبادئ المذهب الاسماعيلي، حتى انه امر بتوريثها كل ما ترك الاب، اذا لم يكن قد انجب ولداً ذكراً، وقد اشار على والده المنصور خلال ولايته لعهد ابيه ببناء مقصورة تتسع للمتخاصمين من كلا الجنسين دونما حرج بعد ان رأى ان دكة القضاء تضيق بهما[1] كما توجه الى المرأة بعدم لبس السراويل الطويلة المؤلفة من خمس شقاق وثمان شقاق[2] وربما دعى الى ذلك لان هذا اللباس كان يسهم في اظهار مفاتنها. كما امر القاضي النعمان بنهي النساء عن البكاء والنواح على القبور وبضربهن وزجهن السجن اذا أبين الطاعة، لان عمل ذلك يعد مخالفةً للدين الإسلامي والعادات والأعراف الاجتماعية [3]).

الخاتمة:

في خاتمه هذا البحث توصل الباحث الى بعض النتائج:

١- أن شخصية المعز لدين الله الفاطمي تمثّل مرحلة محورية في التاريخ الإسلامي، لما اتسمت به من عمق فكري وبُعد سياسي واجتماعي واسع الأثر، فقد جمع المعز بين الحنكة الإدارية والرؤية الإصلاحية، فكان انتقاله من المغرب إلى مصر نقطة تحول كبرى في مسار الدولة الفاطمية، إذ نقل مركز الخلافة إلى القاهرة وجعلها عاصمة للحكم ومركز إشعاع حضاري وفكري امتد تأثيره إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي.

٢- لقد أسهم المعز في ترسيخ دعائم العدالة الاجتماعية، واهتم ببناء مؤسسات الدولة على أسس من التنظيم والانضباط، مع إعلاء شأن العلم والعلماء وتشجيع الحركة الفكرية، كما حرص على إشاعة روح التسامح الديني والتعايش بين مختلف المذاهب والأعراق، وهو ما انعكس إيجابًا على استقرار المجتمع وتطوره.

٣- في الجانب الاجتماعي، فقد أظهر المعز اهتمامًا بالغًا برعاية شؤون الناس، ومتابعة أوضاعهم المعيشية، والسعي لتخفيف معاناتهم، ما جعل عهده يتميّز بشيء من الرخاء والاستقرار مقارنة بالعصور السابقة. كما مثّل تأسيس القاهرة رمزًا لوحدة الأمة الفاطمية ومركزًا للعلم والفقه والفكر.

---

(1) حسين، في ادب مصر، ص٣١.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢١٤، والشقاق نوع من الثياب السبيبة المستطيلة وقيل نصف المستطيلة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شقق؛ اللبناني، عبدالله البستاني، البستان، المطبعة الاميركانية، (بيروت-١٩٢٧م)، مادة شقق.

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص٥٣٥.

وبذلك يمكن القول إن المعز لدين الله الفاطمي لم يكن مجرد حاكم أو خليفة، بل كان مشروعًا حضاريًا متكاملًا جسّد فكرة الدولة الإسلامية الجامعة بين الدين والعقل، والعقيدة والسياسة، والمجتمع والثقافة. وقد ترك بصمة خالدة في التاريخ، تؤكد أن ازدهار الأمم إنما يقوم على القيادة الواعية والعلم الواسع والرؤية الاجتماعية العادلة.

المصادر:

القران الكريم

١. ابن الأبار، ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- ١٩٦٣).
٢. ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة المقدسي (القاهرة-١٩٣٨م).
٣. ابن الأثير، أبو الحسن عزالدين علي بن أبي كريم، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه، محمد يوسف الدقاق، بيروت- دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
٤. ابن الوليد، علي بن الوليد اليماني، الذخيرة في الحقيقة، تحقيق: محمد حسن الاعظمي، دار الثقافة (بيروت-١٩٧١م).
٥. ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة-د.ت).
٦. ابن حزم، ابي محمد علي بن احمد الاندلسي، جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف (القاهرة-١٩٦٢م).
٧. ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م). وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، (القاهرة-١٩٤٨م).
٨. ابن قيم الجوزية، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر، احكام اهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، (دمشق-١٩٦١م).
٩. ابن منظور، ابو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري الانصاري، لسان العرب، دار صادر، (بيروت-د.ت).
١٠. ابي الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي، المختصر في اخبار البشر، مطبعة معتوق اخوان، (بيروت-١٩٥٩م).

١١. اسماعيل، محمود، الخوارج في المغرب الاسلامي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار العودة (بيروت-١٩٧٦م).
١٢. البغدادي، اسماعيل بن محمد امين بن سليم، هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المطبعة البهية، (اسطنبول-١٩٥٥م).
١٣. بيضون: إبراهيم وسهيل زكار، تاريخ العرب السياسي من فجر الإسلام حتى سقوط بغداد، دار الفكر، (بيروت – ١٩٧٤).
١٤. تليسي:بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي، دار المدى الاسلامي، (بيروت – ٢٠٠٣م).
١٥. الجو ذري: أبو علي منصور الكاتب العزيز (ت بعد ٣٨٦ هـ /٩٩٦م) سيرة الأستاذ جوذر.به توقيعات الأئمة، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيره، مطبعة الاعتماد، (القاهرة – ١٩٥٤).
١٦. حسن، حسن ابراهيم وطه احمد شرف، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، (القاهرة-١٩٦٤م).
١٧. حسن، حسن ابراهيم وعلي ابراهيم حسن، المعز لدين الله امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر، مطبعة الشبكشي، (القاهرة-١٩٤٧م).
١٨. حسين، محمد كامل، في ادب مصر الفاطمية، دار الحمامي، (القاهرة-د.ت).
١٩. حمد:عادلة علي، قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، دار مطابع المستقبل، (القاهرة –١٩٨٠).
٢٠. الخطيب، محب الدين، من هم العبيديون ولماذا احرقوا الفسطاط، مجلة الازهر، (القاهرة-١٩٥٤م).
٢١. الديار بكري، حسين ابن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، المطبعة الوهبية، (القاهرة-١٩١٢م).
٢٢. زيدان جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت-د.ت).
٢٣. شمس الدين ابو المظفر يوسف قزاوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، دراسة وتحقيق: جنان الهموندي، (بغداد-١٩٩٠م).
٢٤. العوا، عادل، معنى التاريخ في الفكر الاسماعيلي، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الاردنية، (عمان-١٩٧٤م).
٢٥. غالب، مصطفى، اعلام الاسماعيلية، دار النهضة العربية، (بيروت-١٩٦٤م).

٢٦. القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي، رسالة افتتاح الدعوة (رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية)، تحقيق: وداد القاضي، دار الثقافة (بيروت–١٩٧٠م).
٢٧. القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر (بيروت–١٩٩٦م).
٢٨. محمد، سوادي عبد، دراسات في تاريخ المغرب العربي، مطبعة جامعة البصرة، (البصرة–١٩٨٩م).
٢٩. المقريزي: تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، (القاهرة– ١٩٦٧م).
٣٠. مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود، مطبعة الارشاد، (بغداد ١٩٧٣م).
٣١. ناجي عبدالجبار، دراسات في المدن العربية الاسلامية، مطبعة جامعة البصرة، (البصرة–١٩٨٦م).
٣٢. الهمداني، محمد بن عبدالملك، تكملة تاريخ الطبري –منشور ضمن ذيول تاريخ الطبري– تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف (القاهرة–١٩٧٧م).
٣٣. ياقوت، شهاب الدين ابي عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت–١٩٥٧م).